دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	معمار الروحاني
المصدر:	مجلة آفاق
الناشر:	إتحاد كتاب المغرب العربى
المؤلف الرئيسي:	الشركي، محمد
المجلد/العدد:	ع 2
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1992
الصفحات:	61 - 62
رقم MD:	519741
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الفن المعماري، الفن التشكيلي ، المغرب، تخطيط المدن، الإبداع الفني
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/519741

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

مِعْمـــارُ الرُّوحانـــي

• محمـد الشركـــي

لمساءلة التّشابكات المتفرّعة بين زمن المدينة وزمن التشكيل، لابد لي من مُقترب ليلي بعيد. وبما أن كلا الزمنين، التشكيلي والمعماري، يؤولان في الأخير، كلٌّ عبر دربه الخاص، إلى نفس الجذر التربيعي الذي هو جِذر الكلام، لابد لي من الجرف النيتشوي بما هو درس في الإصغاء لا هوادة فيه. ألم يطلب نيتشه من حبيبته البحرية أُذُنيها، فمنحته ما وراءهما المتمثل في سماع الليل وليل السّماع ؟ أنهض إذن وأهبط الوادي الغائر أسفل مبدإ المدينة باعتبارها لوحة معلّقة بين الحياة والموت، بين دم الحُبّ وحجارة السُّلطة، بين تراب الخيال وخيال التراب، وبين شهوة الاستيهام واستيهام الشهوة. أهبط المنحدرات الصخرية والاستعارية وأقترب. ثمة في عمق الأخدود، المسكن الأثير لدى النسر الهولدرليني، يسهر رجل يدعى إيطالوكالفينو، وأمامه كتابه الفخم «المدن المحجوبة»، وفي قلب الكتاب أسئلة موقدة عند حدود مدن خيالية ذات أسماء أنثوية مشبوبة. سأقترب أكثر وأضعكم أمام المشهد الاجرائي للكتاب : يجلس ماركوبولو، الرحالة الذي قادته أسفاره حتى التخوم المغولية، قبالة قبلاي خان، الامبراطور الآسيوي الرهيب والمهووس ببناء مدينة أبديّة، أو مدينة الأبدية، سيان. ويكون على الرحالة، في كل مرة، أن يقترح على الامبراطور واحدة من المدن المحجوبة المنبثقة من أحشاء الأرض أو من أحشاء الخيال، بما هو أرض أخرى. لا أذكر الآن مآل قُبلاي خان ومدينته الخالدة المتعذرة، إذ كنت أستند إلى ذاكرة قراءة عبرتها منذ سبعة شتاءات خلت، لكنني أحتفظ بحافات المشهد الجوهري. هنا، في هذا المستوى القصي، يلوح الشرخ الباطني بين المعمار، كهندسة للسطوح، والتشكيل، كهندسة للأعماق، وتلوح معه كل التوترات الروحية والإكراهات العضوية الناجمة عن الفصل الإجرامي بين الحجارة والرؤى، بين التراب والرغبة، وبين صوت الحياة وصوت الموت. أشير بهذا إلى ما يتم عبر كل جهات البلاد من تعويم متفاقم لفضاءات المدن بإسقاطات هندسية تختزل، بعنف غاشم، أرواح الأمكنة وأرواح الأزمنة التي تتجاوب فيها في مقولات فضفاضة

تتمسّح تارة بما يسمونه بالأصالة وطورا بدواعي المعاصرة. أشير إلى استخفاف عام ومتفاقم بميتافيزيقا العمران، حيث لم يعد البناء وهندسته مسكونين بالدم الرمزي ومتفاوضين مع الوَجْد الأنثوي الذي كان يقيم ولا يزال أسفل المدن القديمة، بل صارا عملا تقنيا، برّانيا، يُحسم فيه، ببرود، داخل مكاتب البلديات والعمالات والمصالح الطوبوغرافية. لقد استدعيتُ، أعلاه، صورة إيطالوكالفينو ومدنه المحجوبة، ومشهد الإمبراطور المجنون بالمدينة القديرة على تزويج أعمدتها وحجارتها بالنَّفس الأنثوي الخالد، لأومئ إلى أنه لا مندوحة للمعمار عن دم التشكيلي الخبير بالقوى السرية الفعالة في الأتربة وكيمياءات الألوان وتوترات الخطوط والأقواس ومخاطر التصميمات بما هي تدخلات في فضاءات جغرافية مأهولة بأطياف ألوفية ووجوه ما ورائية ونداءات لا مسموعة. يكفي أن نتأمل الآن ما يحدث لما تبقّى من المدن الروحانية، كمراكش ومكناس وفاس والمجالات العتيقة في الرباط، لنتبين عمق الهُوّة التي لا تُعبَر بين القوة الباطنية لبناءاتها القديمة المصدوعة بعمل الزمن والأعباء الرمزية التي تتطلبها الآن السهرة عليها. طبعا، لا أنتظر من الدولة، التي تتألق الآن في هندسة الأمكنة الكارثية وهندسة الأعمار، أن تُصغي لمتطلبات الجمال العمراني العميق. فهذا الجمال، شأنه شأن الكتابة، والحُب، والتشكيل، والموت، يتقدم الآن، أكثر من أي وقت مضى، باعتباره حدا صوفيا من حدود الكائن الكبرى. أذكر الآن ما قالته لي الغائبة الحاضرة ذات عبور غسقي أسفل الأسوار الحمراء المتربة والمسقوفة باللبلاب الفرعوني المنهمر على حافاتها الشهوانية : لابد من اختراق هذه الأسوار لرفع الحجب عن أزمنة الأحشاء.